الوافي في الأدب العربيّ

السّنة الثّانويّة الثّالثة

فرع الاجتماع والاقتصاد

الوافي في الأدب العربيّ

السّنة الثّانويّة الثّالثة

فرع الاجتماع والاقتصاد

إعداد

داود عيـــــد — حمـــدي حـــولّا

د. سهيل سليمان — جـــورج شكُّـــور

دار المكر اللبناني

الهيئة التربويَّة في دار الفكر اللبناني

د. ميشال كعدي — د. جوزيف شهدا — إيلي خليل

صف وإخراج: DFL

دار المكر اللبناني

المركز الرئيسي: كورنيش بشارة الخوري . بناية تمارا . الطابق الأول . بيروت . لبنان

هاتف : 780974 3 961+ (630906 - 655500 - 644416) 1 961+

فاكس : 630757 1 961+

ص.ب.: 4699-11 بيروت لبنان رياض الصلح 11072170 بيروت . لبنان

البريد الإلكتروني : daralfikrallubnani@hotmail.com

طبعة 2011

لا يسمح بأيّ طريقة بتصوير هذا الكتاب كلّه أو أيّ جزء منه. يُطلب الكتاب من الناشر والمكتبات.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

السنة الثالثة الثانوية: فرع الاجتماع والاقتصاد

المحور	مضمون المحور	عدد الحصص
الأدب وتقنيّات التعبير	١ ـ الأدب التأملي: من الخاطرة إلى الحكمة إلى الفكرة الفلسفية. (نصّان أدبيان).	١٠
	٢ ـ الأدب وقضايا المجتمع المعاصر: ـ الفقر والغنى. ـ العيوب الاجتماعية. (نصّان أدبيّان ونصّ تواصليّ).	٢٠
	٣ ـ قيمة الإنسان في المجتمع المعاصر. (نصّان تواصليّان).	١٥
	٤ ـ الفنون الأدبيّة: فنّ المقالة، وأنواعها.	١٥
	٥ ـ من أساليب التعبير النثريّ وتقنيّاته الحديثة: البحث ـ التّقرير ـ الرسالة. (ثلاثة نصوص تواصليّة).	٢٠
	١ ـ نصوص مختارة للتعريب، متدرّجة المستويات طولاً وصعوبة. ٢ ـ نصوص التّعريب المختارة نوعان أساسيّان: أ ـ نصوص أدبيّة، وتكون متنوّعة الأساليب والموضوعات، نثريّة إجمالاً. ب ـ نصوص تواصليّة، تتعلّق بالتاريخ والسّياسة والقانون والإعلام والاقتصاد والبيئة.	٣٠
الثقافة الأدبية العالمية	ـ سلّة الفاكهة أوجنى الثّمار: طاغور	١٠
	مجموع عدد الحصص	**١٢٠**

المقدّمــة

أوّلاً: في تدريس المحاور

١ ـ قُدِّم للنّصّ الأصيل بما هو **أساسٌ وضروريّ** (حياة الكاتب وموقع النّصّ).

٢ ـ يقرأ المعلِّمُ النّصّ **مرّة**، ويَتْرُكُ للطّلاب أَمْرَ استيعابه في **قراءات صامتة**.

٣ ـ يعمل الطُّلاّبُ على **الأسئلة التوجيهيّة** في نشاطات **فرديّة وجماعِيّة**. وتكون الإجابة عن هذه الأسئلة **شفويًّا**، ويعمل المعلِّم على تثبيت الإجابات التي توصَّل إليها الطُّلاّب **على اللّوح**، فينشأ عن ذلك **إجابات للطُّلاّب** هي في جوهرها، **رديف لقِسْمَ «الدّراسة والتحليل»** المُثبت في الكتاب. إنها **«دراستُهم»** الخاصّة في موازاة دراسة الكتاب.

٤ ـ **تدريس القواعد يكون وظيفيًّا فَيَفْرض النّصُّ مادَّتَه**، ويركِّز المعلِّم على **«النّغم القاعديّ»** السّاري في النّصّ، إلاّ أنَّ هذا لا يمنعُ المعلِّم، وحسب ما يرتئيه، من أن يلجأ إلى **تمارينَ تندرجُ في إطار إرساخِ بعض المفاهيم النّحويّة أو الصّرفيّة**، أو تثبيت بعض المعلومات المقرّرة في المنهج.

٥ ـ يتصرّف المعلّم في **النّصّ غير المدروس** بأن:

أ ـ يجعلَه مادَّةً لامتحانٍ مُعْلَنٍ عنه أو غيرِ مُعْلَن.

ب ـ يستعملَه نشاطًا دراسيًّا يُزاوَلُ داخل قاعة الدّرس.

ج ـ يكونَ مادَّةً لِفُروضٍ خطّيّة يُسْأل عنها الطُّلاب.

٦ ـ **النشاطات الواردة في كلّ محور أساسٌ في:**

أ ـ الاطمئنان إلى استيعاب الطلاّب لما مرَّ بهم من قضايا ومفاهيم.

ب ـ اختبار استعداد الطلاّب للامتحانين المدرسيّ والنهائيّ.

ج ـ بيانِ مدى اعتماد الطُّلاّب على أنفسهم، وقياسِ قَدْرَتهم على **المزج بين الفهم والأداء**، وبين **المعرفة والتّطبيق.**

ثانيًا: في تدريس محور «من أساليب التّعبير النّثريّ وتقْنِيّاته»*

إذا لم يُعبِّر المرءُ عن ذاتِه شِعرًا عبَّر عنها نَثْرًا، وهو جاهدٌ أن يأتي تعبيرُه بأسلوبٍ مُتْقنٍ غايةَ الإتقانِ على تلك الذَّات، عملاً بقَول جورج بوفّون George L. Buffon (١٧٠٧ - ١٧٨٨) «الأُسلوب هو الرَّجُل». ومِن هُنا يمتازُ هذا من ذاك أو ذلك بمقدارِ ما اخْتطَّ لنَفسِه من أُسلوبٍ أتْقَنَه ووسَمَه بِشَخْصِيّتِهِ.

ونحنُ، في هذا المحور، إزاء ثلاثةٍ من أساليب التّعبير النّثريّ هي: «التّقرير، والبحثُ، والرسالة الإداريّة»، وسيكونُ التّدريسُ لِتقْنيّات التّعبير فيها مستقلّة من خلال ثلاثة نصوصٍ تواصليّة نبدأُ بها.

١ ـ التّقرير

ثمَّة نوعان من التّقرير هُما: تقريرُ البحث، والتّقرير الإداري.

أ ـ تقريرُ البحثِ: هو عملٌ كتابيٌّ يبحثُ فيه عن مُنْشِئه عن حقيقةٍ، وغايتُه الإعلام بها ونشْرُ معرفتها لدى القُرّاءِ، فإذًا، كلُّ حقيقةٍ مستترةٍ قابلةٌ أن تصبحَ موضوعًا لتقريرٍ بَحْثيٍّ له شروطُه وخصائصه المميّزة الّتي تجعلُه فنًّا قائمًا بذاتِه، ولا بدَّ للمتعلِّم من تملُّك تقنية استعماله حتّى تنكشِفَ لِعَينيهِ تلك الحقيقةُ فيكشفَها لعيونِ الآخرين.

ولذلك يُبدَأُ بدراسة النّصّ التّواصليّ على النّحو الآتي:

* قراءة النّصّ قراءةً واعيةً متعمّقة مضمونًا وتعبيرًا.
* الاستئناس بالدّراسة والتّحليل المَبْنيَّينِ عليه.
* الاطّلاعُ المُتأنّي على الأشكال الثلاثة لِبياناتِ البحث: البيان الخَطّي، والبيان المستطيل، والبيان الدائريّ. وبعدَها مباشرةً ينهضُ المتعلّم بمسؤوليّة إعداد الأبحاث المختلفة انطلاقًا ممّا أُعطي من «نشاطات للبحث» هي نماذج يُمْكِنُه الصَّوغُ على مِنْوالِها.

* رُصِدَ له عشرون حصّة تعليميّة في السّنة.

ونحن نَنْصَحُ بأن يتِمَّ التَّدرُّبُ الشَّفويّ الجَماعيُّ مرارًا على إعداد هيكليَّة تقريرٍ بَحثيٍّ قُبيلَ الانصراف الفرديّ إلى التّعبير الكتابيّ وفقًا للتّقنيّات الّتي رآها في الدِّراسة التّحليليَّة .

إنَّ الكثيرَ من التَّدريبات العملانية ليزيدُ قُدرةَ الفردِ على امتلاك ناصية تقرير البحث، والتَّقريرِ الإداريّ مِن بَعْدُ، فضلاً عن سائر أشكال التّعبير النّثريّ المُرافقة.

ب ـ التقريرُ الإداريّ: يُشْبِهُ تقرير البحثِ في الغايات والأهداف، لكنّه يختلفُ عنه في كونِه «وثيقة رسميّة» تُرْفَعُ إلى مسؤول، ويجب أن تنقسِمَ الوثيقةُ إلى قسمين اثنين: «عرضٍ للوقائع وتقويمها، مع الحُلول والمُقْترحات».

لهذا النَّوع، إذًا، شكلٌ فنّي محدَّدٌ، وإتْقانُه أوّلاً شَكْليٌّ يَبدو سهلاً، لكنَّه في الحقيقة لا يصيرُ سهلاً إلاّ بالمُمارسَة المُكثَّفةِ بعد الاطِّلاع على خصائصه الفنيَّة بعينٍ فاحصةٍ، وفِكْرٍ مُنظَّمٍ منهَجيٍّ، هذه كلُّها كائنةٌ في النَّظريّة وفي التّطبيقاتِ النّموذجيّة على حدٍّ سواءٍ، ولم يَتَبَقَّ إلاّ مراعاةُ «نصائحنا في كتابة التَّقرير» كتابةَ مُحاكاةٍ صادقةٍ وناجحةٍ بلا شَكٍّ، ومن يشُكَّ فَلْيُجَرِّبْ طولَ باعِهِ في «النّشاطاتِ» العشرة على الأقلِّ.

٢ ـ البَحثُ

«هو محاولةٌ لاكتشاف المعرفةِ»، ولها شروطُها وخصائصها وأساليبُها وتِقْنيَّاتُها الّتي تَهدي بخطٍّ مستقيمٍ.

والبحثُ يكونُ قصيرًا في نحو الثّماني من الصّفحات؛ يطولُ قليلاً حتّى العشرين لكَي يستوعِبَ ما يقومُ به التلامذةُ والطُّلاّبُ في موضوعاتٍ محدَّدةٍ.

كما يكونُ البحثُ طويلاً فيصبحُ كتابًا؛ من ذلك ما تعرفه الجامعاتُ على مُستوى «الرّسالة» تُعَدُّ لِنيلِ شهادة الدّكْتوراه.

إنَّما البحثُ القصيرُ هو ما يَتَطلَّبُه المنهاجُ، يتدرّبُ عليه المُتَعلِّمُ بإشرافِ المعلِّم من خلال «نَصٍّ تواصُليٍّ» أوّلاً، ينطلقُ بَعْدَه إلى التَّعمُّقِ في تِقْنيّات البحث، وينجزُ بُعيْدها أبحاثًا قصيرةً جدًّا تتطوَّرُ ويطولُ شيئًا فشيئاً حتّى يَمْتَلِكَ المتعلِّمُ زمامَ البحثِ الحقيقيّ الرّاقي عمليًّا، فيجدُ ـ تَلْقائيًّا ـ وقد يَمتَلِكَ مؤهَّلاً

لإعداد البحثِ الأطولِ، تمهيدًا للتّأهُّلِ النّهائيّ لإنجازِ «رسالةٍ» ثُمَّ «أُطروحةٍ» يُتَوِّجُ بها براعتهُ في البحث المُجدي عن المعرفة لِنَشْرِها في كُلِّ اتّجاهٍ.

ونُنَبِّهُ، أخيرًا، بشِدَّة على لزوم تَحَلّي المتعلِّم ـ على غِرارِ مُعلِّمِهِ ـ بفضائلِ البحث العلميّة والخُلُقيّة جنبًا إلى جنبٍ، لا يحيدُ عن أيٍّ واحدةٍ منها.

٣ ـ الرّسالة الإدرايّة

التَّرسُّلُ فنٌّ تعبيريٌّ كتابيٌّ يتيسَّرُ للمرءِ أن يُلِمّ بتِقْنيّاتِه إذا ما مارسَها أوّلاً بأوّل ممارسةً واعيةً وبِمَنْهَجيَّةٍ واضحةٍ. ويَلْزَمُه، بالطّبع، أسلوبٌ خاصٌّ بأنواع الرّسائل الّتي قد تنيفُ على العشرينَ عَدًّا، وهي أنواعٌ لا تُغْفِلُ أدَقَّ شؤون الحياة. وهذا الأسلوب يُمْكِنُ تَعَلُّمُه أيضًا لأنّه خلاصةُ تجاربِ الإنسان منذُ أدْرَكَ الكتابة الرّاقيةَ، ثُمّ راحَ يَفتَنُّ فيها حتّى بلغتِ الأساليبُ المَعدودةُ ذُرْوَةَ الإتقان والتّأثيرِ والقُدْرةِ على التّعبير عن حقائق الأمور ونيّراتِ المعارف.

هذا يعني أن يختارَ المتعلِّمُ «رسالة نموذجيّة» ثمَّ يَصوغُ على منْوالها، ولا بدَّ من أن يُنوِّعَ اختياراته في البداية إلى حين يُصبحُ «إداريًّا» حقًّا، فيكونُ قد أتْقنَ الخاصَّ بعدَ أن خبر العامَّ.

ولأجلِ هذا كلِّه حَدَّدْنا خصائصَ الأسلوب التّرسّليّ، وأحْصينا أنواعًا كثيرةً من الرّسائل، ثُمَّ لم نقدِّم أي نموذج إلاّ ليُحْتَذى.

واسْتأْنَسنا بالتِّقنيّةِ الأجنبيّة للرّسالةِ الإداريّةِ، فأثْبَتْناها وأضَفْنا ما اختصصنا به نحن العربَ ـ فجاءتِ الإرشاداتُ العامَّةُ الهامَّةُ جدًّا، وقدأرْفَقْنا الشَّرح بالرَّسم لإشراكِ وظيفة العَيْن مع وظيفةِ العقلِ، وحينَذاك سلَّمْنا المتعلِّمَ الأمرَ من خلال «نشاطاتٍ تطبيقيّة» نعتبِرُها معالِمَ ومناراتٍ هاديَةً؛ تكفي مَن شاءَ الاكتفاءَ، وتُشجِّعُ على الابتكار مَن وُهِبَ هذه المَلَكَة.

ورُبّما بدا نافلاً رسْمُ «الظَّرْف» كما يُرى، وهو رَسْمٌ مُعتمَدٌ عالميًّا، يُتْرَكُ فيه «للطَّابع» البريديِّ حيِّزًا معلومًا في الموقع والمساحة، ويُعيِّنُ لِعنوانِ «المُرسِلِ» زاويةُ اليَسار العُليا، ويُخَصُّ عنوانُ «المُرْسَل إليه» بقلْبِ الظَّرفِ الرَّحبِ لأنَّه الأهمُّ بسبَبِ إيضاحِه وُجْهَةَ سَيرِ «الرّسالة».

وهكذا لم نَكْتَفِ بالرّسالة الإداريّة فحَسْبُ، بل تَوسَّعْنا فتمَّمْنا ما يُسْتَحْسَنُ تَمامُه شكلاً ومضمونًا.

ثالثًا: في تدريس محور المقالة

ليس غريبًا أن تسْتأثرَ المقالةُ **بمحورٍ كاملٍ***، ذلك لأنَّها **أكثر الفنون التّعبيريَّة انتشارًا واستعمالاً** وصلاحيّةً للتّعبير عن كلِّ ما في الحياة من موضوعات.

وليس مهمًّا أن نحصرَ معرفَتنا بها من حيث نشأتُها وتطوُّرها وتاريخها بعامَّةٍ، بل أن نعرف تقنيّات التّعبير فيها لكي نتمكَّنَ من محاكاة النّماذج المثاليّة بعد أن تكون قد استوفينا تاريخَها **في وقتٍ قصيرٍ جدًّا**، تمهيدًا للتَّبحُّر في خصائصها الفنيَّة الّتي هي الغاية والمُرْتَجى.

نُشَدِّدُ، إذًا، **على النّواحي التّطبيقيّة العملانيّة** الّتي تكشف عن مبلغ استيعاب المتعلِّم لتقْنيّات هذا الفنّ، وقُدْرَتِه على إخراج **النظريّة إلى حَيِّزِ التّنفيذِ**؛ تمامًا كما يحصل عندما ننظر إلى بنايةٍ مشيَّدةٍ تشييدًا كاملاً متكاملاً فنؤخَذُ بجمالِها من دون أن نهتمَّ أدنى اهتمام بالسّلالم المعدنيَّة الّتي رُفِعتْ لتنفيذها.

ونُنَبِّهُ إلى أن الذي يعرف الأصول، **سُرعانَ ما يتوهَّمُ أنّه أصبح قادرًا على تطبيقها بسُهولة**، ثمَّ لا يلبثُ أن **يكشفَ في كلِّ تجربةٍ ثغراتٍ**. لكنّنا نُطَمْئِنُهُ إلى أنّ **التّجاربَ الكثيرةَ كفيلةٌ أن تَقْضيَ على الثّغراتِ** مهما كَثُرَتْ، حتّى يكونَ الوصولُ إلى ذروةِ الإتقانِ متعةً أدبيّةً حقيقيّة.

ونَنصحُ بأن يتمَّ التّدرُّب الجَماعيّ على إعداد تصميمٍ لكلِّ موضوعِ مقالةٍ حتّى يَسْتوي المتعلِّمون في هذه التّقنيّة، ومن ثمَّ فلْيَنْصَرِفُوا ـ كلٌّ بِقِواهُ الفكريَّة والأدبيَّة ـ إلى الكتابة بثقةٍ وجرْأةٍ وموضوعيّةٍ ومنهجيّةٍ حيثُ يُسْبغُ كُلُّ واحدٍ على مقالته نفحةً من روحه، وظِلاً من ظلال أسلوبِه.

ونتمنّى عدمَ الوقوف مطوَّلاً عند التّاريخيّات، لأنّنا نُحِبُّ التَّعمُّق في الدِّراسة الوافية الشافية للمقالة النَّموذجية **«مَنْ يُعيدُ توابيتنا إلى الوطن؟»** لغادة السَّمّان ـ وهذه أوَّل سُلَّمٍ ـ ومِن ثمَّ ينطلقُ المتعلِّمون إلى المقالات التّالية لدراستِها في ضوءِ ما عليها من **«نشاطات»**، مستفيدين **من تعدُّد أنواع هذه المقالات**، حتَّى يَنْتَهوا إلى صياغة مقالاتٍ موجَّهَةٍ في آخر المحور يُمْكِنُهم تطويرُها أو تجديدُها أو تقليدُها، إلى أن يُنجزوا البنايةَ كلَّها كاملةً متكاملةً من دون أن تظهرَ هاتيك السَّلالِمُ.

والله وليُّ التَّوفيق

المؤلِّفون

* رُصِدَ له عشرون حصّة تعليميّة في السّنة.

المحور الأوّل

الأدبُ التّأمُّليّ
من الخاطرة إلى الحكمة إلى الفكرة الفلسفيَّة

توصيفه

* الأدبُ التّأمُّليُّ في مَواقِفِهِ من القضايا الإنسانيَّةِ الكُبرى: الحُرّيّة والعبوديّة، الحياة والموت، التّفاؤل والتّشاؤم...
* أشكالُ التّعبيرِ التّأمُّلي: الخاطرة، الحكمة، الفكرة الفلسفيَّة.

نصوصه

١ ـ نصٌّ أدبيٌّ أوّل: غَيرُ مُجْدٍ ـ أبو العَلاء المَعرّي.

٢ ـ نصٌّ أدبيٌّ ثانٍ: كفّارةُ الشّاعر ـ فَوزي المعلوف.

٣ ـ نصٌّ أدبيٌّ ثالث: الطَّلاسم ـ إيليّا أبو ماضي.

٤ ـ نصٌّ أدبيٌّ رابع: سَراب ـ سليم حيدر.

٥ ـ نصٌّ أدبيٌّ خامس: عند قدمَي أبي الهَول ـ مي زيادة.

الأهداف المعرفيّة

١ ـ تعرُّف منشأ الفلسفة ابتداءً من الخاطرةِ فالحكمة فالفكرة الفلسفيَّة.

٢ ـ استكشاف الأفكار الفلسفيّة من خلال نصوصٍ قديمة وحديثة ومُعاصِرة.

٣ ـ النّظر في مدى ارتباط «الحكمة» بطبيعة صاحبها المركَّبة، وبيئتهِ على مختلف وُجوهِها، بما يوفّر لها التنوُّع والبقاء.

٤ ـ الإلمام بثُنائيّات القضايا الإنسانيّة الكُبرى: الجبر والاختيار، الحياة والموت، الخلود والفَناء، الخير والشرّ، اليأسُ والرَّجاء، الثَّواب والعَقاب، إلخ...

الكفايات / المهارات

١ ـ دراسةِ مؤشّرات الأنماط ودلالاتِها: الوصفيّ، التّفسيريّ، الإقناعيّ.

٢ ـ إبراز دَور كلٍّ من الكلام الإنشائي والكلام الخبريّ في بنْيَة النّصّ وتماسُكِه الدّاخلي.

٣ ـ استقراء حواشي النَّصّ ودَلالاتِها وصِلَتِها به.

٤ ـ تحليل نَصٍّ؛ شعرًا أو نثرًا، وتَبيُّن قضاياه الحكميّة والفلسفيَّة، ومناقشتُها والحُكمُ عليها.

٥ ـ تذوُّق جماليّات النَّصّ الفكريّ/ الفلسفيّ؛ لغةً وأُسلوبًا وتَلاوينَ وإيقاعات.

٦ ـ إجراء المقارَنة المَوضوعيّة بين أُطروحتَين فكريّتَينِ متشابهتين، أو متعارضتَين.

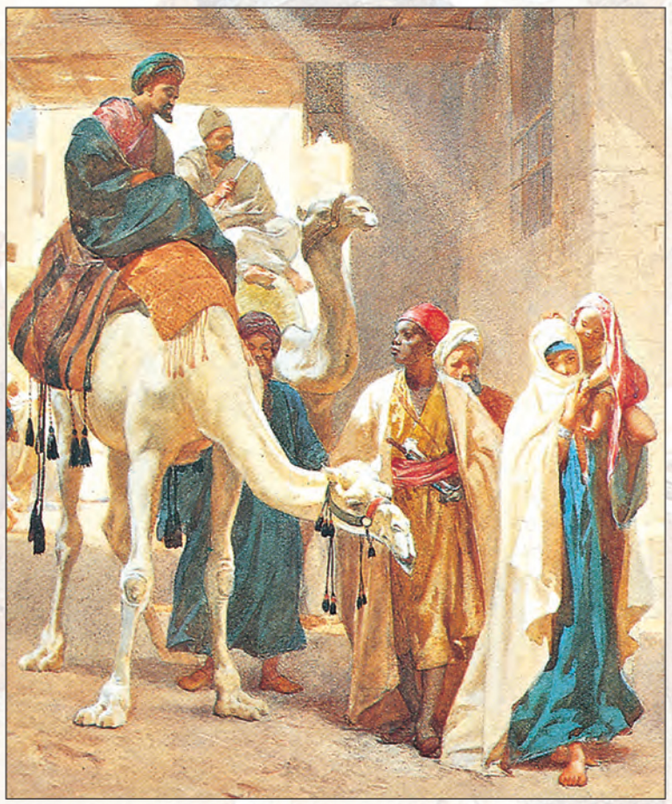

فردريك غوداول، مسافرون، ١٨٦٤.

مُقدِّمـة المِحْوَر*

منذُ أن وُجد الإنسانُ على سطح هذه البسيطةِ، ورأى الشَّمسَ تُشرِقُ فيَدْفأ فيأمنُ فيطمئنُّ فيَسعى فيعيشُ فيفرحُ، ثمَّ رآها تغرب فيبردُ فيخافُ الوحوشَ فينقبضُ قلبُه فيقشعرُّ بدَنُه؛ منذ ذاك **تأمَّلَ الوجودَ فظنَّ أنَّ حياته في قبضة الشّمس**، فرفع إليها عينيه وفتح قلبَهُ وتمتمَ بلسانِهِ كلماتِ التَّعظيم والضَّراعة والاسترحام. **وقِسْ على هذا موقفَه من سائر موجودات القُبَّة الزرقاءِ والفلَك، ومن بعض مظاهرِ الطّبيعة كالصُّخور الهائلة، أو عناصر الكونِ المؤثِّرة في بُنْيانه كالرِّياح والزَّعازع والبحار والأنهار الفيّاضة**. هذا يفسِّرُ، على نحوٍ ما، **تأمُّلَ الإنسان في جاهليَّته الأولى** للكَون والوجودِ والحياة، **ثُمَّ استنتاجَه عددًا من الخواطر الحكمية البدائيَّة**. أمّا من عرَف **ديانةً سماويَّةً** (اليهوديّة والمسيحيّة) فتحوَّل ذهنُه من **الوثنيّات إلى الإلهيّات**، وازدانَتْ حكْمتُه بالسُّموِّ والحقيقة، وإنْ ظَلَّ هناك **نَفَرٌ لا ينْفكّون يتساءلون تساؤلاتٍ هي مثارُ جدالٍ واختلافٍ** بين هذا وذاك. وهذا وذاك من الآراء **من شأنه إدامةُ التفكير المولِّد للتفكير حتّى لا ينقطعَ ما دام الإنسانُ يسعى إلى الحقائق المُطْلَقة**، وهو مُفْعَمٌ بأمل الاهتداء إليها. وعلى أساس كلِّ ما تَقَدَّمَ ننظرُ إلى خواطرِ القُدامى والمتأخّرينَ وحِكَمِهم، وصولاً إلى عصر الفلسفة.

وصلتْنا الخواطرُ الحكَميّة من الجاهليّة في صيغة الجُمل البليغة في إيجازها، المسجوعة بموسيقاها، كقول الحكيم **قسّ بن ساعدة الإيادي** (ت ٦٠٠ م): «أيُّها النَّاسُ، اسمَعوا وَعوا، وإذا وعَيتُمْ فانْتَفِعوا... أين مَن بَنى وشيَّد، وزَخْرَفَ ونجَّد، وغرَّه المالُ والولد... طحنَهم الثّرى بكَلْكَلِه، ومزَّقَهم بتطاوُلِه، فَتِلْكَ عِظامُهم بالية، وبُيوتُهم خاوية، عمرَتْها الذِّئابُ العاوية، كَلَّا بل هو المعبود».

ومِن حِكَمِ **المعمَّرِ المخضرَمِ أكْثَم بن صَيفي** (ت ٣٦٠ م): «مَن فسدَتْ بطانَتُه كان كمَن غصَّ بالماء ـ المُزاح يورثُ الضّغائن ـ الصِّدق مَنْجاة والكذب مهْواة ـ إصلاحُ فساد الرعيَّة خيرٌ من إصلاح فساد الراعي ـ أفْضَلُ الأولادِ البَرَرَةُ ـ البَيِّنةُ على مَنِ ادَّعى واليَمينُ على مَن أنكَرَ».

* مخصَّص لهذا المحور في فرع الآداب والإنسانيّات ١٤ حصَّة. وهو نفسُه لفرع الاجتماع والاقتصاد في ١٠ حصص فقط، حيث لا يُسأل التلامذة فيه عن بلاغة أو عروضٍ أو نحوٍ بصفة رسميّة ملزِمة، وإنْ كانَ لكُلِّ علمٍ من هذه خَيطُه المؤسِّس في نَسيج النِّتاج الأدبيّ.

ولعلَّ طرفةَ بنَ العبد أبْرزُ من وصلَتنا أخبارُهم من شعراءِ الجاهلية، وخالَفَ في خواطرِه الحكميَّة أهلَ زمانه بسبَبِ فَرادَتِهِ في تَجْرِبَتِهِ الحياتيَّة المأسويَّة؛ فقد نظَر إلى العيش الّذي أحبَّه فقال:

أرى العيشَ كنزًا ناقصًا كلَّ ليلةٍ ... وما تَنْقُصِ الأيّامُ والدَّهرُ يَنْفَدِ

فلماذا يموت؟ وما سببُ هذه الجبَريَّة الّتي لا يدَ له فيها ولا اختيار؟ يسأل مَن يلومه:

فإن كنتَ لا تَسْطيعُ دَفْعَ منيَّتي ... فَدَعْني أُبادرْها بما ملكتْ يدي

بحزنٍ شديدٍ، بهلعٍ شديدٍ يواجهُ مصيرَه المحتوم عاجلاً كأنَّه يراه عَبْرَ مصرع أبيه شابًّا، فرأى عبَثيَّةَ الحياة؛ وما دامت الحياةُ عبثيَّةً، فما قيمةُ الموتِ الّذي يُنْهي حياة الروح والجسد إفناءً تامًّا؟

أرى قَبْرَ نحّامٍ بخيلٍ بمالِه ... كقبرِ غَوِيٍّ في البَطالةِ مُفْسِدِ

وما إن أشرق الإسلامُ حتّى اشتهر الإمام عليّ بن أبي طالب (٦٠٠ ـ ٦٦١م) بأمثاله وحكَمه الّتي منها: «لا تَكُنْ عبدَ غيرك وقد جعلَك اللهُ حُرًّا ـ احصدِ الشرَّ من صدر غيرك بقلْعِه من صدرك ـ المنيَّةُ أدنى إلينا من أبصارنا ـ ما ضرب اللهُ عِبادَه بسَوْطٍ أوجَعَ من الفَقرِ ـ للهِ دَرُّ الحَسَدِ ما أَعْدَلَهُ! بَدأَ بِصاحِبه فقتلَه».

بَقيَ تعريفُ الحكمةِ بأنَّها قولٌ يلخِّص تجربةً إنسانيَّةً تجاهَ موقفٍ أو حادثةٍ أو قضيَّة خاصَّة تصلُح للعامَّة، يُسْعِف القائلَ فيه كثرةُ تجاربِهِ أو عمقُ بعضها، وصفاءُ تأمُّله، ورجاحة عقله، وعُمْق بصيرته، وبُعْدُ نَظَرِهِ الّذي يسمح له بدقَّة الملاحظة وحُسن التّحليل والتّعليل والاستنتاج. ولا بُدَّ من توافُر ثقافةٍ واسعةٍ وعميقةٍ حتّى تتحوَّلَ الخواطرُ الحكميّة إلى فلسفة شموليَّة.

إنَّ الشُّعوبَ في جاهليَّتها لا تعرِفُ أكثرَ من الخاطرة الحكميَّة بسبَبِ غيابِ ثقافتِها المكتوبة، وانقطاعِها عن الشُّعوب المجاورة لها ممَّن تعمَّقت في الفلسفة، تمامًا كما حصل لِمُعْظم عرب الجاهليَّة في أثناء انقطاعهم شبْه التّامِّ عن الإغريق أصحابِ الفلسفات القديمة من خلال أرِسْطو وأفلاطون وسواهما.

ونلاحظ، بالرُّجوع إلى حركة التّاريخ، **أنَّ العصر الأمويَّ كان عصرَ التّأسيس الثّقافي**، ولم يُكْمِلِ القرنَ من الزّمانِ حتّى **كانَ العصرُ العبّاسيّ الّذي رفع على الأساس الأموي مداميكَ عاليةً شامخةً بفضْل إثمار الثقافة العربيَّة الأموية ملقَّحةً بثقافة يونانية وثقافة فارسية قوامُهما الحكمةُ والفلسفة، وقد نضِجَت هذه الثِّمارُ على أشجار التَّرجمات**

الفلسفيَّة الَّتي اشتغل بها العرب في المرحلة الذّهبيّة من العصر العبّاسي (حتّى زمان الخليفة المأمون). وحينئذٍ صار للعرب فلاسفتُهم، سواء أكانوا في الشعر **كأبي العلاء المعرّي**، أم في النثر كالفارابي وابن رُشْد.

أمّا الفيلسوف فهو المفكِّر الَّذي يضع تصوُّرًا متكاملاً (أو شبْه متكامل) لِنظْرَته إلى الوجود في وجهَيه: **الطبيعة** Physique، **وما وراء الطبيعة** Métaphysique، **أي هذه الحياة وما بعدَ هذه الحياة**. ولا شكَّ في أنَّ هذه كلَّها، تظلُّ مجرَّدَ تصوُّراتٍ أفرزتْها تأمُّلاتٌ متعمِّقةٌ تَسْبُر أغوارَ الكون بمنطقٍ يهتدي غالبًا بإضاءات دينيَّة متعدّدة، مجرَّدَ تصوُّرات معرَّضةٍ للمخالفة والمجادلة والردِّ والنَّقض أو التَّثبيت، بما يدلُّ على حيويَّة الفكر الإنساني وإثبات وجودِه الرّاجحِ من خلال حركيَّته التّقليديّة عبر العصور.

«مختار الحكم ومحاسن الكلم»، سقراط وتلميذاه، منمنمة عربية، القرن الثالث عشر ميلادي.

أبو العلاء المعرّي*

٩٧٣ـ١٠٥٨م

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التَّنوخي؛ شاعرٌ ولُغويّ وفيلسوف عربيّ. وُلد في «معرَّة النَّعمان» قرب الشّام. عمِيَ صغيرًا بسبَب الجُدَريّ. قَصَدَ بغدادَ عاصمةَ العلم والحضارة، فمكث فيها سنتين، ثمَّ عاد ليحتبسَ طَوعًا في منزلِه فسُمِّي «رهين المَحْبِسَين» مَنْزِله وعَماه، وقد أضاف إليهما ثالثًا إذ قال:

أراني في الثّلاثة من سجوني فلا تسـألْ عـن الخبـر النَّبيثِ
لِفَقْدي ناظري، ولُزومِ بَيتـي وكَوْنِ النَّفسِ في الجسمِ الخبيثِ

كان المعرّي نكتةً في قوّة الذاكرة. اتَّصل براهبٍ في اللّاذقيَّة ودرَس عليه الفلسفة القديمة، واطَّلع على المسيحيّة واليهوديّة، وحصَّلَ علومَ زمانه. عاش عابدًا متقشِّفًا على زُهدٍ واعتزال، يأخذ نفسَه بالخشونة والقناعة باليَسير، حتّى إذا ما أشار عليه ـ في مرَضِه ـ طبيبٌ بأكْلِ ديكٍ روميٍّ، قال: استَضعفوكَ فوَصفوك، هلَّا لهم أن يصِفوا شِبْلَ الأسد!

أساءَ المعرّي الظَّنَّ في المرأة، ورفَض الزَّواج لكي لا يُنجِبَ فيَظلِمَ، ثُمَّ أوصى بأن يُكتَبَ على شاهِدِ قبرِه:

هذا جناهُ أبي عليَّ وما جنَيتُ علـى أحَـدْ

كان ينقدُ الفِرَقَ الدّينية الكثيرة والمتصارعة في زمانه، ولَه مشهورُ القَول:

* ماذا يستوقِفُك في حياة المعرّي؟ ولماذا؟

في اللّاذقيّة ضجّةٌ ما بين أحمدَ والمسيحْ
هذا بناقوسٍ يدُقُّ وذا بمِئْذَنةٍ يصيحْ
كُلٌّ يُعَظِّمُ دينَهُ يا لَيت شِعري! ما الصَّحيحْ؟

إذ إنّه استكملَ كلَّ المدارس الفكريَّة من كَلاميَّةٍ وفلسفيَّة وَصوفيَّة وحديثيَّة وفِقْهيَّة، وما تفَرَّع منها وانقسم عنها ونتجَ من مخاصمات جعلتْه يستنكرُها، ويمْقُتُ منها الجهلَ الشامخ والإيمانَ المُكابِرَ والعقل المريض. فقال في رسالةٍ إلى أهل المعرَّة: «بعدَ أن قَضَيْتُ الحداثة فانْقضتْ، وودَّعتُ الشبيبة فمضتْ، وجرَّبتُ خَيرَ الدَّهر وشرَّهُ، وجَدتُ أوْفَقَ ما أصْنَعُه في أيّام الحياة العُزلةَ...»، وفي عُزلتِه أنتجَ فكرًا مميَّزًا، وفلسفةً كثُرَ المتطاولون عليه لأجْلها، وقد كان شديدَ التَّعصُّب لمبادئه وأفكاره، حتّى قيل إنَّ حُبَّه للمتنبّي جعله يغمزُ قناةَ الشريف المُرْتَضي في مجلسِه حين راح هذا يحاول الحطّ من قدْر المتنبي، فسحبَه رجالُ المرتضي من المجلس سحبًا.

من آثار المعرّي في الشِّعر: اللُّزوميّات (لُزوم ما لا يلزم)، وسَقْطُ الزَّنْد. وفي النَّثر: رسالة الغُفران، مُلَقَّى السَّبيل، رسالةُ الملائكة، رسائل أبي العلاء، شَرْحُ المتنبي في كتابٍ سمّاه «اللّامع العزيزي».

ديسقوريدس وتلميذه، منمنمة عربية، ١٢٢٩.

اتَّفقَ أصحابُ التَّراجم على صحَّة رحلة المعرّي البغداديّة، وفي أثنائها تُوفِّيَت أُمُّه، فعافَ الغُربةَ وعاد إلى مَسْقَط رأسِه حيث احتبسَ طواعيَةً زاهدًا معتزِلاً، يُعاني أكثر من محنة إنسانيَّة ومحنة فكريَّة استعصى عليه حَلُّها، فجعلتْهُ «الشّاعرَ الحائرَ» يتأمَّلُ ويشُكُّ، ويُخرِج ديوانَه «سَقْطَ الزَّنْد» الذي اخترنا من إحدى قصائده هذه العيونَ من أبياتها.

نصٌّ أدبـيٌّ أوّل

غَيْرُ مُجْـدٍ

غَيرُ مجْدٍ في مِلّتي[١] واعتقادي نَـوْحُ بـاكٍ، ولا تَـرنُّـمُ شـادِ
وشبيهٌ صَوتُ النَّعِيِّ إذا قيـسَ بِصوتِ البشيرِ في كُـلِّ نـادِ
أبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمامةُ أم غنَّتْ علـى فَـرْعِ غُصْنِهـا المَيّـادِ[٢]

* * *

صاحِ هذي قُبورُنا تملأُ الرُّحْبَ[٣] فأيـنَ القبـورُ مِـن عَهْـدِ عادِ[٤]
خَفِّفِ الـوَطْءَ مـا أظُـنُّ أَديمَ[٥] الأَرضِ إلّا مِن هـذه الأجسادِ
وقبيـحٌ بنـا، وإن قَـدُمَ العهـدُ هَـوانُ[٦] الآبـاءِ والأَجـدادِ
سِرْ إن اسْطَعْتَ في الهواءِ رُوَيدًا لا اختيـالاً على رُفاتِ العِبـاد
رُبَّ لَحْدٍ قد صار لَحْدًا مِـرارًا ضاحكٍ من تَزاحُـمِ الأَضـدادِ
ودَفيـنٍ علـى بَقـايـا دَفيـنٍ فـي طويـلِ الأزمـان والآبـادِ

* * *

فاسألِ الفَرْقَدَيْنِ[٧] عَمَّنْ أحَسّا مِـن قَبيـلٍ وَآنَسَـا مِـن بـلادِ
كـم أقـامـا علـى زوالِ نَهـارٍ وأنـارا لِمُـدْلِجٍ[٨] فـي سَـوادِ
تَعَبٌ كُلُّها الحيـاةُ فما أعْجَبُ إلّا مِـن راغـبٍ فـي ازديـادِ
إنَّ حُزْنًا في ساعةِ الموتِ أضعا فُ سُـرورٍ في ساعـةِ الميلادِ

* * *

خُلِـقَ النّـاسُ لِلْبَقـاءِ فضَـلَّتْ أُمَّـةٌ يَحْسَـبونهـا لِلنَّفـادِ
إنَّمـا يُنْقَلـونَ مِـن دارِ أعمـالٍ إلـى دارِ شَقْـوةٍ أو رَشـادِ

* * *

ضَجْعَةُ المـوتِ رَقْـدَةٌ يستريحُ الجسمُ فيها، والعيشُ مثلُ السُّهادِ[٩]

١- **ملّتي**: شريعتي وديني.
٢- **الميّاد**: المتمايل.
٣- **الرُّحب**: الأرض الفسيحة.
٤- **عاد**: قوم من العرب البائدة.
٥- **أديم الأرض**: وجْهها.
٦- **هوان**: استخفاف بالشيء.
٧- **الفرقدين**: هنا الشّمس والقمر.
٨- **المدلج**: المسافر في الظلام.
٩- **السُّهاد**: الأرق، وذهاب النَّوم عن المرء ليلاً.

أسئلة توجيهيّة

١ ـ ماذا استنتجَ المعرّي في مطلع القصيدة؟ وكيف علّل ذلك في البيتَينِ اللّاحقَين؟

٢ ـ عن أيِّ ازدواجيَّةٍ يتحدَّث المعرّي في هذه الأبيات؟ اشرحْها.

٣ ـ كيف نظرَ إلى مسألة الفَناء؟ وكيف وظَّفَها إنسانيًّا؟

٤ ـ أين يتجلّى لك إيمان الشاعر بيَوم الحساب؟ وأين تغْلبُ عليه النَّزعةُ التَّشاؤميَّة؟

٥ ـ حَدِّدْ معالمَ فلسفتِهِ في صدَد الموت ومَغْزاه الإيجابي.

٦ ـ هل تلمح صراعًا في نفسِه بين الجَبْر والاختيار؟ أوضِحْ ذلك.

٧ ـ عن أيِّ مأساةٍ يتحدَّث المعرِّي؟ وهل تتبنّى رأيَه؟

٨ ـ ناقِشِ المعرّي في القضايا الَّتي أثارَها، إنْ كنتَ لا تتَّفقُ معه فيها.

٩ ـ أوضِحْ فائدةَ المطابقات في القصيدة، وأهمِّيَّة التَّضادِّ في حياته.

١٠ ـ عَلِّل اعتماد المعرّي المُزاوَجة بين الأسلوب الخبريّ والإنشائيّ، في هذه القصيدة الفلسفيَّة.

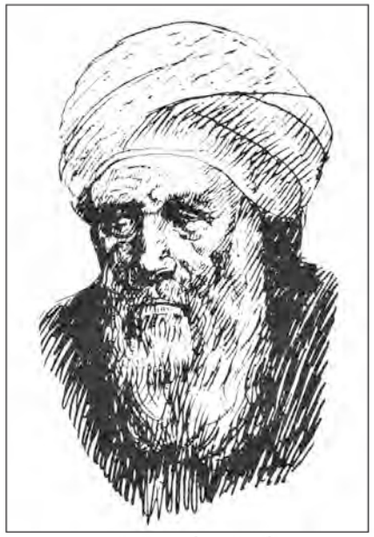

أبو العلاء أحمد المعرّي
كما يتصوّره جبران خليل جبران نقلاً عن أحد
دفاتره العتيقة

دِراسَة وتَحْليل

الحائر الشّاعر

ماذا نتظرُ من صبيٍّ وهو في الرابعة من عمره يفقدُ البصرَ بسبَب الجُدَريّ حتّى لا يعود يذكرُ من الألوانِ إلّا الأحمرَ؟

وماذا نتظرُ من فتًى وهو في الرّابعةَ عَشْرةَ يفْقدُ والدَه الَّذي كان يَحْدَبُ عليه ويُعَوِّض؟

لا بَل ماذا نتظرُ من رجُلٍ تُتَوفّى أمُّه عنه وهو مُرْتَحِلٌ عنها في بغداد، فلا يستطيع أن يستدفئَ قلبُه بِنارِ حُبِّها؟

وهكذا نشِبت في حياته ـ وفِكْره ـ ثُنائيَّةُ التَّضادِّ؛ الحياة والموت، التَّفاؤل والتَّشاؤم، الحريَّة والعبودية، وهي ليست عبوديَّة الجسد بقدْر ما هي عبوديَّة الروح لقُدْرةٍ لا سبيلَ إلى رَدِّها، بلِ الاعتراضُ عليها ولو شعرًا؟

مهزلة الازدواجية

ولئنِ افتتح المعرّي قصيدته هذه **بالاستنتاج العقائدي** «غيرُ مُجدٍ نَوحُ باكٍ... ولا تَرَنّمُ شادي» **فلِكَي يحكمَ بما لا يقبلُ الشَّكَّ** ـ من نفسِه ـ **في أن الحياة**، ورُبّما بالمُطْلَق، **مرتعٌ لمَهْزِلة الازدواجيَّة المُحَيِّرة**؛ إذ كيف يُشابِهُ صَوتُ النّاعي ـ وهو لِبؤس المَوت ـ صوتَ المبشِّر بنَشْوةِ الولادة والحياة؟ وكيف ـ في رأي المعرّي ـ يحقُّ لِإنسانٍ ما أن يرى في سجْع الحَمام غناءً مُطرِبًا، في حينَ يحقُّ لآخَرَ أن يرى في السَّجعِ نفسِه نُواحًا وكَرْبًا؟ وأيُّ هذينِ الإنسانَين على حقٍّ إذًا؟

واجَهَ المعرّي لُغْزَ الحياة، وقد اعتبرها قضيَّتَه الأولى، فاشتغلَ بها وتوصَّلَ إلى اعتبارِ الحياةِ نتيجةَ «قُدْرَةٍ عَجَبٍ»:

جـواهـرٌ ألَّفَتْهـا قـدرةٌ عجَـبٌ وزايلَتْهـا، فصـارتْ مِثْـلَ أعـراضِ

ألَّفَها اللهُ فكانت، ولمَّا تركتْها قُدْرتُه زالت، والمعرّي يرى في الأمر حكمةً «إلهيَّةً»:

واللَّبيبُ اللَّبيبُ مَـن ليـس يَغْتَـرُّ بِـكَـوْنٍ مصيـرُهُ لـلـفَسـادِ

وهكذا يعبّر المعرّي عن ثُنائيّة الكَينونةِ والفَناءِ، الحياةِ الظّاهرة والحياة المستترة، في تساؤلاتٍ يوجّهُها إلى إنسان هذه الدُّنيا؛ يسأله عن قبور الأجداد من أهْلِ «عادٍ» العربِ البائدة، ويستدِلُّ على فانيها بالظّاهر من القبور المُستحدَثة، ثمَّ يتحدّاهُ أن يخفِّفَ من كِبْريائه الجَهولِ بأن يحترمَ الرُّفاتَ فيسيرَ «في الهواء روَيدًا لا اختيالاً على رُفات العِباد». فمَن ذا الَّذي يستطيعُ الخلودَ في هذه الدُّنيا ويعاند الفَناء؟

بَينَ المأساة والعزاء

أهي مأساةٌ كان المعرّي يتمنّى لو لم تكُنْ أصلاً، **أم هي حقيقةٌ** صاغَها «الحَقُّ» ليعلِّمَ الإنسانَ قيمةَ نفسِه بفِكْرِه ونفسِه وروحِه لا بجَسَدِهِ الملحود عاجلاً أو آجِلاً؟ ألا يكون «الفناءُ» خيرَ مُخَفِّفٍ أو مُهْلِكٍ لآفَهِ الكبرياء؟ **فلْيعتبِرْ من ذلك كلُّ إنسان، وليسألِ الشَّمسَ والقمرَ عن قِدَم الحياة مُذ قال الله «كوني فكانت»، وعن أبديَّة الحياة لِمَنْ تطهَّرَ من دناءاتها**. أفي هذا عزاءٌ لأبي العلاء المعرّي وهو يدبُّ إلى الخامسة والثّمانين من السِّنين؟

بَينَ الحريّة والجبريّة

مضطربٌ مَوقِفُ المعرّي من «القدَر»؛ فهو تارةً يقطع في الجبَريَّة، وطَورًا يقطع في **الاختيار والحُرِّيَّة**، فقد «خُلِقَ الناسُ للبقاء»، فلماذا «ضَلَّتْ أُمَّةٌ»؟ أكانت مسيَّرةً إلى ذلك الفَناءِ أم مخيَّرَةً؟ استنتجَ المعرّي أن «الحياة تَعَبٌ كلُّها» ـ وهذه وُجْهَةُ نظَرٍ ذاتيَّةٌ منه قبلَ أن يصحَّ تعميمُها ـ وسَفَّهَ رشادَ كلِّ «راغبٍ في ازدياد» حياة «تَعَبٌ كلُّها». **وهذا يعني أنَّه يتقبَّلُ قدَرَه صاغرًا**، بروحٍ مُفْعَمةٍ بالتَّشاؤم وإنْ كان التفاؤل إلى نفسِه حبيبًا، لكنَّ إحباطات حياته كانت أشَدَّ من أن يجدَّ نواصِيَها. ولذلك استخلصَ المعرّي **أنّ القدر ينبعِثُ من حدود الطَّبيعة، وأنَّ الكائن البشريّ يصنعُ قدَرَهُ بنفسِه، ولكنَّه في النّهاية يأسُره**؛ ذلك:

أنَّ حُزنًا في ساعةِ الموت ... أضعافُ سرورٍ في ساعةِ الميلادِ

فمَن ذا الَّذي يكفلُ استمرار «سرور» الحياة لا استدامةَ الحزنِ طولَ ما قبلَ «ساعة الموت» الفاصلة، كحياة المعرّي على سبيل المثال؟ وفي الحريَّة والجبَريَّة يقول في لزوميّاته:

وإنْ سألوا عن مذهبي، فهْو خشْيَةٌ ... مـن اللهِ، لا طَوقًا أَبُثُّ ولا جَبْـرا

تَعالى الَّـذي صاغ النُّجومَ بقُـدرةٍ ... عن القول، أضْحى فاعلَ السّوءِ مُجْبِرا

بَينَ التَّفاؤل والتَّشاؤم

تَصْدُرُ آراءُ المعرّي، وفَلْسَفَتُه الشُّموليةُ، من تجربةٍ طويلةٍ مُرَّةٍ بالِغة القسْوة؛ فإذا تَشاءَمَ كان تشاؤمُه كمَن يرى الفساد ويَلْمُسُه ثمَّ يحاولُ الحدَّ منه. وإذا تعذَّبت روحُه المرهَقة وتعذَّبَ عقلُه المتوَقِّدُ ـ في جسمٍ نُسِجَ ثَوبُه من لُحْمةِ العذاب وسَداهُ ـ **فإنَّه يُعْذَرُ إذا رأى الموتَ مُستراحًا**، لا حُبًّا للموت الَّذي لا يُحَبّ، بل طلبًا للرّاحة المُستعذَبة حيثُ «ضجْعةُ الموتِ رقدةٌ يستريح الجسمُ فيها»، **وكأنَّما لا راحة في الحياة، بل الرّاحةُ كلُّ الراحةِ في الموت الَّذي يخلِّص صفاءَ الروح من دمامة الجسد**. وما دامَ العمرُ إلى انقضاءٍ حتْميٍّ، فكيف لا يصيرُ «العيشُ مثلَ السُّهادِ»؟ ألا يُغيِّرُ اللهُ «ما بين غمضةِ عينٍ وانتباهتها... من حالٍ إلى حال»؟

الموت والحياة

هل هذا يعني أنّ التَّشاؤم من الحياة يجدُ خلاصًا في التَّفاؤل بالموت؟ أهذا لُغْزٌ، أم سرٌّ، أم تَناقُضٌ لا بُدَّ منه لفَلْسفة الموت ـ في مغزاه الإيجابيّ ـ كما صاغها «فيلسوفُ المعرّة» بمنطِقٍ جديدٍ وفكْرٍ جديدٍ وأُسلوبٍ بليغ؟ لقد أشار إلى يوم «الحساب» حيث يُنْقَلُ الناسُ إلى «دار رَشادٍ» يتوحَّدُ المُتَّقون في جنَّتِها بالعقل الكُلّيّ وفي سعادةٍ أبديَّةٍ، أو يُنقَلون إلى «دار شَقْوَةٍ» يندمجُ الناسُ فيها بالطَّبيعة ذاتِ الأرزاءِ والبَأساء.

ولا يفوتُ أبا العلاءِ أبدًا أنَّ **في الحياة خيرًا وشرًّا، ولكنَّهما غيرُ مُطْلَقَين**، أمّا الخَيْرةُ المُطْلَقةُ فليست إلَّا لِلّهِ وَحْدَه. ولَعَمْري، أرى هذا «الفيلسوف» يتصدّى مُسْبَقًا لمَن سيقومُ في ما بعد للنَّيل منه، فيقول في لُزوميّاتِه:

ومَـغْـفِـرَةُ الـلّـهِ مَـرْجُـوَّةٌ ... إذا حُبِسَـتْ أعْظُمـي في الرِّمَـمْ

بَين الإخبار والإنشاء

التّضادُّ عند المعرّي ناشئٌ من التناقُض بين ما هو سائدٌ في مجتمعه، وما هو كائنٌ في أعماق نفسه وتفكيره. فمن الطبيعيّ أن يتَّخذَ استهلالُه صيغةَ الإخبار والتبليغ ـ عن «**لا جَدْوى**» يراها مجتمعهُ «**جَدْوى**» ـ يختمها باستفهام يقرِّر «اللاجدوى» ويثبِّتُها. ثم يستأنفُ الكلام متوكِّئًا على **صيغة النداء (الطلبيَّة)** بكلمةِ «صاح» المُرَخَّمة من

«صاحبي» وكأنها باتت توحي بصرخةٍ «صَيحةٍ» أيضًا يرفعها المعرّي ليعزّزها بسؤالٍ مكانيّتُه تُلغي زمانيَّة المَوجودات المتحوِّلة والمُنْحَلَّة: «أين القُبورُ مِن عهْدٍ عادٍ»؟

ونراهُ يتصدّى للموضوع **بثلاثيَّةٍ متناسقة من أفْعال الطَّلب ـ الأمر ـ** الّتي تحمل **روح التحدّي** ممتزجَةً **بروحيَّةِ الهداية**: «خَفِّفِ الوَطْءَ، سِرْ إنِ اسْطَعْتَ، فاسألِ الفَرقدَين...».

بعدئذٍ ينصرِف إلى **الإخبار مجدَّدًا عن «حقائق»** ـ هو يَعُدُّها كذلك ـ يعزّزها بمنطقِ التمثيل الصريح، وغايتُه أن يستوفي هذا الجانب مِن مَذهَبِهِ في الحياة ـ وفي الموت أيضًا ـ بانيًا على تجاربَ قاسيةٍ مُرَّةٍ خوَّضَ فيها بالإرادة حينًا، ولا إراديًّا أحيانًا.

وينبغي الاعترافُ بأنّ المعرّي **لم يَصِفْ مِن الموتِ هنا إلّا وجْهه المادّيّ الظاهر**، ولم يتطرَّق إلى جوهر الموت الذي يصوِّر الموت وجْهًا مقابِلاً للحياة، ولكنَّ المقابلة هنا ليست ضدِّيَّةً بل تكميليَّة وِفاقًا لِما في الأديان السماويَّة.

حَسْبُ المعرّي أن **يُحْسِن التعبير**، وحَسْبُنا أن **نُحْسِنَ التفسير، وإلّا فالتّأويل** إذ نحن إزاء فَيلسوفٍ فِكرهُ مثيرٌ للجدَل منذُ أن كانَ، وما دام يكونُ.

نشـاطـات*

١ ـ استخرِجِ الجُمَلَ الاسميّةَ الّتي تقدَّم فيها الخبرُ على المبتدأ، وعلِّل ذلك مع تَبْيان أهمِّيَّتِهِ.

٢ ـ استخرِجِ الأسماءَ المشتقَّةَ الواردة في قوافي القصيدة، وبَيِّن أنواعها، ثمَّ رُدَّها إلى أفعالها في الماضي مستعينًا بالمُعجم.

٣ ـ استخرِج أسماءَ الفاعل وأسماءَ المفعول، ثُمَّ رُدَّ كُلًّا منها إلى الماضي من أفعالها.

٤ ـ متى يعملُ اسمُ الفاعل أوِ اسمُ المفعول (كسائر المُشْتَقّات)؟ هل ترى شيئًا مِن هذا في البيت الأوَّل؟

٥ ـ ما دَلالاتُ «رُبَّ ـ كَمْ ـ إنَّما» في الأبيات ٨ و ١١ و ١٥ على التَّوالي؟

٦ ـ أعرِبْ: باكٍ (١) ـ تِلْكُمُ الحمامة (٣) ـ رُبَّ لَحْدٍ (٨) ـ كَمْ (١١).

٧ ـ هل تعتقدُ أنّ الشّاعر نَصَبَ «رُوَيدًا ـ اختيالاً» في البيت ٧، باعتبارِهما حالاً أو نائب مفعولٍ مُطلق؟ علِّلِ اختيارَك.

٨ ـ أترى في القصيدة تصريعًا؟ حدِّدْهُ وعرِّفْهُ وبيِّن قيمته.

٩ ـ قَطِّعِ البيت السابع عَروضيًّا، ثمَّ بَيِّنْ إيقاعاته الموسيقيَّة، وَزِنْه، وعيِّن رويَّه وقافيتَه.

١٠ ـ **للتَّعبير الكتابيّ**: ما فَقَدَ الشاعرُ حاسَّةً إلّا عوَّضَه اللهُ منها بطاقةٍ أو بحاسَّةٍ أُخرى. اِبحث عن هذه الظّاهرة لدى الأديبَين الكفيفَين أبي العلاءِ المعرّي وطه حسين.

* هذه النشاطات تصلح أساسًا لفرع الآداب والإنسانيّات، لكنَّها تصلحُ أيضًا لفرع الاجتماع والاقتصاد حتّى لو لم يعيّن له المنهاج دراسةً لعلم قواعد اللغة وعلم البلاغة وعلم العروض.